الفصل
الأول

اللغة العربية و المصطلح

- **المبحث الأول:** اللغة والمصطلح
- **المبحث الثاني:** اللغات وطوائفها : اللغة العربية
- **المبحث الثالث:** أول من وضع الخط العربي
- **المبحث الرابع:** أقليات لغوية بالوطن العربي
- **المبحث الخامس:** مشكلات لغوية بين الفصيحة والعامية
- **المبحث السادس:** مشكلات علمية
- **المبحث السابع:** وسائل وضع المصطلحات (المعجمات)
- **المبحث الثامن:** القواميس والمعجمات العربية

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

اللغة والمصطلح

لقضية المصطلح في اللغة العربية خصوصية مستمدة من خصوصية الماضي والحاضر، فاللغة العربية لغة خصبة بالغة الثراء، كانت في الماضي غير البعيد إلى جانب اللغة اللاتينية لغة الحضارة في العالم، وهي في الحاضر لغة تعيش في أكثر من عشرين دولة عربية، ومشكلة المصطلحات تثار كلما عرُضت قضية التعريب، بهدف إعاقته والحفاظ على ما وجد في عهود التبعية، مما يهضم حق اللغة العربية لتسود اللغات الأجنبية في التأليف وقاعات الدروس، ولعل البداءة قيمة حينما نعرض هذا التساؤل:

ما اللغة؟ وما الاصطلاح؟

اللغة: نطق يعبر عن فكرة أو عاطفة، وهي مجازاً: كل وسيلة تعبّر عن فكرة أو عاطفة، يقال: لغة القلم ولغة العين ولغة الإشارة.. إلخ.

وفي المعجمات[1] كاللسان والقاموس والتاج: اللغة أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، وجمعها لُغى ولُغات ولُغون. وفيها: اللِّسْنُ اللغة،

---

(١) المعجم: كتاب تدرج فيه مفردات اللغة على حروف المعجم أو على طريقة أخرى وتُعرّف.

obeikandl.com

واللِّسان المِقْول، أو قل جارحة الكلام، ويطلق أيضاً على اللغة وعلى الكلام وعلى الرسالة، وهو يذكّر ويؤنث، فإذا أردت باللسان اللغة أنثت حينئذ لا غير، والجمع ألسن إذا أُنِّثت وألسنة إذا ذُكِّر، وجميع اللغات إشارات لتفاهم البشر، وحياة البشر الاجتماعية كانت سبب تكوّن الألسنة على اختلافها.

أما **الاصطلاح** (مصدر اصطلح) فهو في اللغة تصالح القوم، وهو أن يقع الصلح أي السلم بينهم، وهو أيضاً "العرف الخاص" وهو: "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"[(١)]، والاصطلاحي ما يتعلق بالاصطلاح ويقابله اللغوي[(٢)]، وفي مستدرك التاج: الاصطلاح هو "اتفاق طائفة مخصوصة على أمر مخصوص"، وهذا المعنى هو الذي يهمنا ذكره، يقال مثلاً: اصطلح العلماء على رموز الكيمياء، أي اتفقوا عليها، وهذه الرموز هي مصطلحات أي مصطلح عليها[(٣)]، وفي المعجم الوسيط: "اصطلح القوم على الأمر تعارفوا عليه واتفقوا"[(٤)].

يعرّف الجرجاني (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) الاصطلاح بأنه: "عبارة عن اتفاق قوم على تسمية شيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول"، ثم يضيف: "إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما"، إذن هو: "اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى، والاصطلاح أيضاً هو "إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر لبيان المراد"[(٥)].

---

(١) الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط٢، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٦٥، ص٥.
(٢) عبد الله البستاني: البستان، بيروت، ١٩٢٧، ١/ ٣٤٩.
(٣) الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ط٢، مرجع سابق ذكره، ص٥.
(٤) المعجم الوسيط (صلح) مجمع اللغة العربية، القاهرة.
(٥) علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص٢٨.

الاصطلاح إذن يجعل للألفاظ مدلولات جديدة غير مدلولاتها اللغوية، أو الأصلية؛ فالسيارة في اللغة القافلة، والقوم يسيرون، وهي في اصطلاح الفلكيين اسم لأحد الكواكب السيارة التي تسير حول الشمس، وفي الاصطلاح الحديث هي الأتوموبيل.

والمصطلح العلمي هو: "لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية، فالتصعيد مصطلح كيمياوي، والهَيُولَى مصطلح فلسفي، والجراحة مصطلح طبي، والتطعيم مصطلح زراعي، وهو "لفظ يصطلح عليه أهل العلم المتخصصون للتفاهم والتواصل بينهم"[(١)].

وحرصاً على الدقة والوضوح، ندرج فيما يلي المعنى اللغوي والدلالي للمصطلح من خلال التعاريف الآتية:

١- التقديس، في اللغة: التطهير. وفي الاصطلاح: تنزيه للحق عن كل ما لا يليق بجنابه، وعن النقائص الكونية مطلقاً.

٢- الحَجْر، في اللغة: مطلق المنع. وفي الاصطلاح: منع نفاذ تصرّفٍ، قوليٌّ لا فعليٌّ لصغَرٍ، ورقٍّ، وجنون.

٣- الحق، في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره. وفي اصطلاح أهل المعاني هو: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد والأديان، والمذاهب، باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل.

٤- الوقف، في اللغة: الحبس. وفي العروض: إسكان الحرف السابع المتحرك، وهو تاء "مفعولاتُ" ليبقى "مفعولاتْ".

---

(١) ورد هذا التعريف في توصيات مجلس مجمع اللغة العربية في دورتيه الستين ١٩٩٤، والواحدة والستين ١٩٩٥.

وفي الشرع: "حبس العين على ملك الواقف والتصدق بالمنفعة"، وفي القراءة: قطع الكلمة عما بعدها.

يتبيّن من هذه الأمثلة - في المجال المصطلحي - أن لكل كلمة معنيين، معنى لغوياً ومعنى اصطلاحياً، فالمعنى اللغوي مأخوذ من أصل المادة (صلح)، ومنه: الصُّلحُ والصلاح والمصالحة، وهي الموافقة، وخلاف المخاصمة، ومنه: تصالح القوم واصطلحوا.

فالمدلول اللغوي المعجمي لهذه المادة هو التصالح والموافقة، فكأن الناس اختلفوا في أمر أو تخاصموا، ثم توافقوا ونبذوا الخصومة فيما بينهم.

وأما المعنى الاصطلاحي فله صلة بالمعنى اللغوي للمادة، ويفيد أن القوم اختلفوا عند ظهور مدلول جديد على تسميته؛ كلٌّ يعطيه اسماً يقترحه، أو سيكون قرأه في بعض المصادر، وأخيراً يصطلحون أو يتفقون على تسمية واحدة لذلك المدلول، ويسمى عملهم هذا "الوضع".

لا توضع المصطلحات ارتجالاً، ولا بد في كل مصطلح من وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة، بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، فلفظة طيارة مثلاً هي في اللغة مؤنث طيار، على وزن فعّال، المبالغة، والطيار كلمة ينعت بها الفرسُ حديدُ الفؤاد (الماضي) الذي يكاد يطير من شدة عدوه، فالذي اتخذ اصطلاح الطيارة لأداة الطيران الحديثة، لاحظ أنها تطير، أي تشبه الطائر عندما يتحرك في الهواء بجناحيه، ولاحظ أيضاً أنها سريعة الطيران، ولذلك جاء المصطلح على أحد أوزان المبالغة لا على وزن اسم فاعل[١].

(١) الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مرجع سبق ذكره، ص٦.

ومن الواضح أن اتفاق العلماء على المصطلح العلمي شرط لا غنى عنه، فإن كانوا يتحدثون عن مسائل في الفلسفة، ينتج عن ذلك مصطلح في الفلسفة، أو عن مسائل في الطب، ينتج عنه مصطلح أو أكثر في الطب، وهكذا في جميع العلوم واصطلاحاتها، ولا يجوز أن يوضع للمعنى العلمي الواحد أكثر من لفظة اصطلاحية واحدة، أيضاً اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى، ووجود مشابهة أو مشاركة أو مناسبة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.

فكلمة المصطلح في الأصل مصدر ميمي أو اسم مفعول (مصطلح عليه) ثم نقل إلى الاسمية الخالصة لتخصيصه بهذا المدلول الجديد، والمصطلح كما رأينا يتطلب الاتفاق، مما يسهّل للكلمة الجديدة دخول حيز اللغة.

ورأينا من التعاريف السابقة أن المصطلح قد يراد به مدلول واحد في علم واحد، وأحياناً تكون تسميته مشتركة بين عدة علوم، وفي كل منها يراد به معنى غير الآخر، كما رأينا في مصطلح "الوقف" في كل من العروض والشرع والقراءات.

ومن خصائص وضع المصطلح البساطة؛ أي توضيح المضمون بأقل ما يمكن من العبارات، والاعتدال في الطول والقصر كما أقره القدماء من العرب[١]، والوضوح أي تجنب الكلمات الغامضة، وتنظيم المحتوى، وخلو الإطار التعريفي من ذكر المصطلح المعرف، لأن الشيء لا يعرف بنفسه، واجتناب التعريف بالمرادف[٢]، كما يرى الباحثون في لغات العلوم بمختلف اتجاهاتهم.

---

(١) ابن سينا، أبو علي: الإشارات والتنبيهات، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦٢.

(٢) أبو حامد الغزالي: معيار العلم في فن المنطق، دار الأندلس، بيروت، ص١٩٧.

إن وضع المصطلحات العلمية عملاً لا يتيسر لكل إنسان، وعلى من يمارسه بحثاً وتدريساً وتنقيباً، أن يكون ملماً بثقافة واسعة، تمكنه من إدراك ماهيته، ومن التحكم في استعماله، لأن ذلك يعني التحكم في العلم نفسه، من حيث موضوعه ومنهجه وقضاياه.

obeikandl.com

المبحث الثاني

اللغات وطوائفها: اللغة العربية

لغى العالم كثيرة، لم يتمكن العلماء من ضبط عددها، وقد ذهبوا في تقسيمها مذاهب شتى، والتقسيم الأشهر يسمونه التقسيم الطبيعي، وهو يبحث عن بناء اللغات وعن صلاتها بعضها ببعض في القديم والحديث. وثَمة تقسيم مشهور لم يخل على شهرته من هنات، تناولها بعض العلماء المعاصرين بالنقد، وهو يقتضي بجعل اللغات ثلاثة أقسام:

الأول: قسم اللغات أحادية الهجاء، وفيه تدرج اللغة الصينية ولهجاتها ولغات سيام وأنام وبرما وتبت وغيرها.

والثاني: قسم اللغات غير المتصرفة، وتسمى أيضاً لغات الوصل والجمع، ويدرجون فيها اللغات الطورائية، ومنها التركية ولغات هنود أمريكة وبعض زنوج إفريقية وغيرهم.

والقسم الثالث: قسم اللغات المتصرفة، ويجعل علماء الألسن هذا القسم في طائفتين:

الأولى: طائفة اللغات الحامية والسامية، ومنها المصرية القديمة والقبطية والبربرية والحبشية، ومنها الآشورية والفينيقية والكلدانية والعربية والسريانية والعبرانية.

obeikandl.com

والثانية: طائفة اللغات الهندوأوربية، ومنها: السنسكريتية واللغات الإيرانية واللغات اليونانية القديمة والحديثة، واللغات الجرمانية واللاتينية واللغات المتفرعة عنها والأرمنية والألبانية..إلخ.

وكثيراً ما عمل العلماء على معرفة لغة البشر الأصلية التي تفرعت عنها اللغات المعروفة في هذه الأيام، لكن سعيهم كان عبثاً، إن آثار الإنسان ولغاته في التاريخ شيء حديث، وهي لا تكفي لمعرفة ما كان الناس ينطقون به في الأزمان الغارقة في طيات الحقب الخالية، وهي حقب قبل التاريخ، لا يعرف عنها العلماء شيئاً مذكوراً[١].

اللغة العربية، أصلها وخواصها

اللغة العربية من اللغات السامية، والمراد باللغات السامية اللغات المنسوبة إلى سام بن نوح عليه السلام، وسبب هذه التسمية كون أكثر المتكلمين بها من نسله، وأشهرها العربية والسريانية والعبرانية، وهي متشابهة نشأت من أصل واحد هو اللغة الآرامية نسبة إلى آرام أحد أبناء سام، ويدخل في اللغات السامية الحبشية، أما الفارسية فإنها ليست من اللغات السامية، بل هي من اللغات الآرية، نسبة إلى آريا وهو لفظ يراد به جميع مملكة الفرس مثل لفظ إيران.

قال ابن حزم في كتاب الإحكام لأصول الأحكام: «إن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقيناً أن السريانية والعبرانية والعربية، التي هي لغة مضر لا لغة حمير، لغة واحدة، بدلت بتبديل مساكن أهلها، فحدث جَرْسٌ

(١) لمزيد من الاطلاع على قضية اللغة هل هي من كلام وقفه الله لآدم (أي بيّنه وأطلعه عليه)، أم أنها كلام تواضع عليه البشر واصطلح عليه، انظر: السيوطي: المزهر، ابن جني: الخصائص.

obeikandi.com

كالذي يحدث من الأندلس، إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلس، ومن الخراساني إذا رام نغمتها..

وهكذا في كثير من البلاد، فإنه بمجاورة أهل البلدة الأخرى، تتبدل لغتها تبديلاً لا يخفى على من تأمله، ونحن نجد العامة قد بدلت الألفاظ في اللغة العربية تبديلاً هو في البعد عن أصل تلك الكلمة كلغة أخرى ولا فرق».

وقال: «فمن تدبّر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا ومن تبدل الألفاظ على طول الزمان، واختلاف البلدان ومجاورة الأمم، وإنها لغة واحدة في الأصل».

ومن المعلوم أن العربية التي نزل بها القرآن الكريم هي اللهجة القرشية المضرية، وأنه كان للعرب قبل الإسلام لهجات شتى في أنحاء بلادهم، كالحميرية ومنها السبئية والمعينية جنوبي عَرَبة، أي جزيرة العرب، وكالثمودية والنبطية والصفوية شماليها، وقد دثرت كلها، ولم تخل لغة العدنانيين نفسها في الحجاز من تباينات في بعض الكلم بين قبيلة وقبيلة، وهذا شيء طبيعي في جميع اللغات.

ومن المعلوم أيضاً أنه عندما جمعت اللغة العربية ودونت، لم يعوّل إلا على ألفاظ القرآن الكريم وألفاظ الشعر الصحيح، وكلام أعرق القبائل العربية وأبعدها عن تأثير الأعاجم فيها، كقيس وتميم وهُذَيل وأسد وغيرها.

والقرآن الكريم هو الذي حفظ لنا أسس لساننا سليمة، ولولاه لما كان من المستبعد أن يكون اليوم لكل دولة عربية لغة خاصة، هي بالنسبة إلى اللغة العربية الفصحى كالفرنسية والإيطالية والإسبانية بالنسبة إلى اللاتينية.

ولحكمة بالغة أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة العرب، ولم ينزله أعجمياً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ

وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١/ ٤٤]. وقال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٦/ ١٠٣]. وكأن في تكرار كلمة (العربي) دعوة إلى الاهتمام بلغة الكتاب العزيز، لذلك اهتم بها العرب والمسلمون، واستنكروا اللحن، ووضعوا الكتب في ضبطها والحفاظ عليها، واعتزوا بها كل الاعتزاز، وقال جار الله الزمخشري: «أحمد الله أن جعلني من علماء العربية وجبلني على الغضب للعربية والعصبية لها».

وحول **نشوء اللغة العربية**: فإنه من المرجح أن العربية الأولى تكونت - مثل غيرها من اللغات - من أصول قليلة ثنائية البناء (أي مركبة من حرفين)، ثم تعددت الكلم بإضافة حرف أو أكثر على الأصل الثنائي، وبقلب أحد أحرف الكلمات المزيدة من ثلاثية أو رباعية أو أكثر وبإبدال بعض أحرف الكلم من بعض، وبنحت كلمة من كلمتين أو من جملة، وباقتباس كلمات أجنبية[١].

هكذا نشأت لغتنا الضادية على كرّ السنين، وكثرت ألفاظها، وتنوعت معانيها، ثم سارت على سنة الارتقاء وبقاء الأصلح، فماتت لهجاتها وعاشت اللغة المضرية لغة القرآن الكريم، وهي لغتنا في أيامنا هذه، لغة قادرة على الحياة والتجدد والعبارة عما استحدثه الناس ويستحدثونه في شؤون حضارتهم، وهي باقية ما بقي كتاب الله يُتلى، وباقية ما بقي الأذان يُرفع.

قال بعض العلماء: إن للغات السامية خواص تتميز بها من سائر اللغات المعروفة، منها:

---

(١) ينظر في شأن نشوء اللغة العربية: الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مرجع سبق ذكره، ص١٠ - ١٢.

١- يتميز فيها المذكر عن المؤنث في الضمائر والأفعال.

٢- تتصل الضمائر بأفعالها وأسمائها وحروفها.

أما أعجمية الاسم فتعرف بأحد أربعة أمور:

١- النقل: أي أن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.

٢- خروجه عن أوزان الأسماء العربية.

٣- أن يجتمعَ فيه حرفان لا يجتمعان في كلمة عربية مثل: الطاء والجيم.

٤- أن يخلو من حرف من حروف الذلاقة، وهو رباعي أو خماسي. وحروف الذلاقة ستة هي:

الباء والراء والفاء واللام والميم والنون، وهي أخف الحروف[١]، ولذا لا يخلو منها الرباعي أو الخماسي، فإذا وردت كلمة رباعية أو خماسية وليس فيها شيء من حروف الذلاقة فاعلم بأنها غير أصلية في العربية.

ونضيف فوائد بابها كبير ونكتفي هنا بذكر القليل:

- لا تجتمع الجيم والقاف في كلمة، إلا أن تكون معربة أو حكاية صوت، الأول: نحو الجردقة للرغيف والجوسق للقصر، والثاني: مثل جَلَنْبَلقْ، وهو صوت باب ضخم في حالة فتحه.

---

(١) أما ما وجد فيه حرف من الحروف الثمانية التي توجد في العربية ولا توجد في الفارسية فليحكم بكونه عربياً، والأحرف الثمانية هي: الثاء والحاء والصاد والظاء والطاء والعين والقاف، وقد جمعها بعضهم في أربع كلمات هي: (ضع، حظ، ثط، قض).

obeikandl.com

- لا تجتمع الجيم والصاد في كلمة مثل الصّولجان وهو المحجن، وهي معربة[١].
- لا تجتمع الباء والسين والتاء، مثل: بستان.
- لا تجتمع الجيم والطاء في كلمة، نحو طازج معرب تازة.
- لا تجتمع الصاد والطاء في كلمة، فالأصطفلينة وهي الجزرة معربة.
- لا تجتمع السين والذال، ولا السين والزاي في كلمة، فالساذج وهو الخالص عما يشوبه والذاب وهو بقلة معروفة معرّبة.
- لا يوجد في العربية نون بعدها راء في كلمة، فَنَرْجِسْ ونَوْرَجْ معربتان.
- لا يوجد في العربية دال بعدها زاي في كلمة، الهنداز: معرب. قال القاموس: الهنداز بالكسر الحدّ - معرب - أصله أندازه بالفتح ومنه المهندس.
- لا يوجد في العربية لام بعدها شين في كلمة، قال ابن سِيَده في المحكم: «ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية محضة، الشينات كلها في كلام العرب قبل اللامات».

وقال الجاحظ في البيان والتبيين: «إن الجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين بتقديم ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال بتقديم ولا تأخير»[٢].

---

(١) تعقيب ذلك: الأزهري في التهذيب، فقال: إنهما يجتمعان في بعض الكلمات العربية، وجعل من ذلك (الصَّجُّ) وهو ضرب الحديد بالحديد.

(٢) الشيخ طاهر ابن العلامة صالح الجزائري: التقريب لأصول التعريب، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٣٧هـ، ص٦٢، ٧٤.

obeikandl.com

المبحث الثالث

أول من وضع الخط العربي

اختلف الناس حول أول من وضع الخط العربي، هناك أقوال في هذا الشأن:

- قال هشام الكلبي: «أول من وضع ذلك قوم من العرب العاربة، نزلوا في عدنان بن أد وأسماؤهم: أبو جاد هواز حطي كلمون صعفص قريسات، ومن ثم وجد الأعراب حروفاً ليست من أسمائهم وهي: الثاء والخاء والذال والطاء والشين والعين، فسموها الروادف وهؤلاء ملوك مدين».

- يقول ابن النديم: «قرأت بخط ابن أبي سعد على هذه الصورة وبهذا الإعراب: إبجاد هاوز حاطب كلمان صالح فض قرست، قالوا: هم الجبلة الأخيرة، وكانوا نزولاً في عدنان بن أد وأشباهه، فلما استعربوا وضعوا الكتاب العربي. والله أعلم». «وقال كعب: وأنا أبرأ إلى الله من قوله أن أول من وضع الكتابة العربية والفارسية وغيرها من الكتابات آدم عليه السلام، وضع ذلك قبل موته بثلاث مئة سنة في الطين وطبخه، فلما أصاب الأرض الطوفان سلم فوجد كل قوم كتاباتهم فكتبوا بها».

- قال ابن عباس: «أول من كتب بالعربية ثلاثة رجال من بولان، وهي قبيلة سكنوا الأنبار، اجتمعوا فوضعوا حروفاً مقطعة وموصولة وهم: مرامر بن

obeikandl.com

مرّة وأسلم بن سدرة وعامر بن جدرة، ويقال مروة وجدلة، فأما مرامر فوضع الصور، وأما أسلم ففصل ورحل، وأما عامر فوضع الإعجام».

سئل أهل الحيرة: ممن أخذتم الكلام العربي؟ فقالوا: من أهل الأنبار، ويقال: إن الله تعالى أنطق إسماعيل بالعربية المبنية وهو ابن أربع وعشرين سنة.

- قال محمد بن إسحاق: «فأما الذي يقارب الحق وتكاد النفس تقبله فذكر الثقة أن الكلام العربي بلغة حمير وطسم وجديس وأرم وحويل، وهؤلاء هم العرب العاربة، وأن إسماعيل لما حصل في الحرم ونشأ وكبر تزوج في جرهم آل معاوية بن مضاض الجرهمي، فهم أخوال ولده، فتكلم كلامهم ونشأ وكبر، ولم يزل ولد إسماعيل على مر الزمان يستقون الكلام بعضه من بعض، ويضعون للأشياء أسماء كثيرة بحسب حدوث الأشياء الموجودات وظهورها، فلما اتسع الكلام ظهر الشعر الجيد الفصيح في العدنانية وكثر هذا بعد معدّ بن عدنان، ولكل قبيلة من قبائل العرب لغة تتفرد بها وتؤخذ عنها، وقد اشتركوا في الأصل. قال: وإن الزيادة في اللغة امتنع العرب عنها بعد بعث النبي ﷺ لأجل القرآن الكريم، ومما يصدق ذلك: روى مكحول عن رجاله أن أول من وضع الكتاب العربي نفيس، ونضر وتيما ودومة هؤلاء ولد إسماعيل، وصفوه مفصلاً، وخرقة قادور نبت به عميسع بن قادور.

قال: وإن نفراً من أهل الأنبار من إياد القديمة وضعوا حروف ألف ب ت ث وعنه أخذت العرب، قرأت في كتاب مكة لعمر بن شبة وبخطه: أخبرني قوم من علماء مضر قالوا: الذي كتب هذا العربي الجَزْم رجل من بني مخلد بن النضر بن كنانة، فكتبت حينئذ العرب، وعن غيره الذي حمل الكتابة إلى قريش بمكة أبو قيس ابن عبد مناف بن زهرة، وقد قيل: حرْب بن أمية.

وقيل: إنه لما هدمت الكعبةَ قريشٌ وجدوا في ركن من أركانها حجراً مكتوباً فيه السلف بن عَبْقَر يقرأ على ربه السلام من رأس ثالثة آلاف سنة، وكان في خزانة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم في جلد آدم، فيه ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان بن فلان الحميري من أهل وزل صنعا، عليه ألف درهم فضة كيلاً بالحديدة ومتى دعاه بها أجابه شهيد الله والملكان. قال: وكان الخط أشبه خط النساء».

ومن كتاب العرب أسَيْد بن أبي العيص، أصيب في حجر بمسجد السور عند قبر المريين وقد حسم السيل عن الأرض، فيه: أنا أسيد بن أبي العيص رحمة الله على بني عبد مناف. لم سميت العرب بهذا الاسم. من خط ابن سعد، ذكروا أن إبراهيم عليه السلام نظر إلى ولد إسماعيل مع أخوالهم من جرهم فقال: يا إسماعيل ما هؤلاء؟ فقال: بنيّ وأخوالهم جرهم، فقال له إبراهيم باللسان الذي كان يتكلم به وهو السريانية القديمة: أعرب له. يقول: أخلطهم بهم. والله أعلم.

قال محمد بن إسحاق: أول من كتب المصاحف في الصدر الأول ويوصف بحسن الخط خالد بن أبي الهيّاج، رأيت مصحفاً بخطه»[1].

(١) ابن النديم: الفهرست، مكتبة الخياط، بيروت - لبنان، د. ت، ص ٤ - ٦.

المبحث الرابع

أقليات لغوية بالوطن العربي

نحاول بما يلي الإحاطة بهذه الأقليات، عارضين الصورة العامة، ملتزمين بمعطيات المصادر التي تم الاعتماد عليها.

اللغة الأمازيغية: تعني كلمة أمازيغ[1] في قاموس من يتكلمها (الإنسان النبيل)، وهي أقدم لغة وجدت على أرض المغرب العربي، وهو موطنها الأصلي ومنطقة تمركزها الحالي.

يتحدث الأمازيغ منذ القديم بلسان غير متجانس يضم سبع لهجات كبرى، تنتشر في شمال إفريقية هي إلى جانب (التاشلحيت) - (تاريغت) و(تمازيرت) في المغرب (القبايلية) و(الشاويّة) و(الميزابيّة) في الجزائر و(التراكيّة) في الصحراء الكبرى من موريتانية إلى السودان. وتشير الدراسات إلى أن هناك علاقة بين الأمازيغية والسامية، وهناك ثلاث طرائق لكتابتها؛ بالحرف اللاتيني والحرف العربي والحرف التيفيناغي، ولقد ظهرت أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الأمازيغية بالحرف العربي في ٢٥ تشرين الأول/أكتوبر/ ٢٠٠٣.

---

(١) للوقوف على أصل هذين المصطلحين ينظر:

- رجاء وحيد دويدري: جغرافية الوطن العربي في إفريقية، ط٣، جامعة دمشق، ٢٠٠٣، ص ٣٩٠ - ٣٩٢.

obeikandl.com

اللغة الكردية: تعني كلمة كوردو بالسومرية سكان الجبل، وهو الاسم الذي أطلق على الأكراد، أي سكان الجبال التي تسمى كردستان، وتحمل اللغة الكردية مخزوناً كبيراً من اللغات السومرية والعربية والسريانية والأكادية، وموطنها الأصلي كردستان، ومناطق تمركزها الحالي سورية والعراق[١].

اللغة التركمانية: تشبه اللغة التركية والأذربيجانية، لكنها تكتب بأبجدية عربية. موطنها الأصلي روسية الاتحادية وتركية. ومناطق تمركزها الحالي في الوطن العربي في المملكة الأردنية الهاشمية والجمهورية العربية السورية والعراق. ومن العلماء المسلمين من أصل تركماني: الفارابي والبخاري، والخوارزمي، والبيروني، والسرخسي.

اللغة السريانية: هي إحدى اللهجات الآرامية، وصارت اللغة الفصحى لجميع الكنائس المسيحية والبابلية في جميع منطقة المشرق العربي من خليج البصرة إلى سيناء، وكانت لغةَ بعض القبائل العربية مثل المناذرة، ولغةَ الثقافة في الإمبراطورية الساسانية. ولقد أطلق العرب على السريان اسم النبط، أي الناس الذين استنبطوا الأرض، على خلاف تسمية العرب، أي الناس الرحل المتنقلين، وتعد مدينة القامشلي اليوم إحدى أهم المدن السريانية، ويتوزع أكبر عدد لهم في العراق ثم سورية ثم لبنان وتركية، وأعداد أخرى تنتشر في العالم.

اللغة الآرامية: هي لغة القبائل التي انتشرت في الهلال الخصيب وظلت قائمة أكثر من ألف سنة. تنتمي الآرامية إلى أسرة اللغات السامية، وقد اقتبست الأبجدية الفينيقية، وفي عهد السلوقيين أصبحت اللغة السائدة في كل آسية السامية، وبلغ امتدادها إلى أقاصي الشرق في الصين شمالاً

(١) باسيلي نيكيتين: الكرد - دراسة سسيولوجية وتاريخية، ترجمة وتعليق: نوري طالباني، تقديم: لويس ماسنيون، دار الساقي، بيروت، ولندن، ٢٠٠١.

وفي الأقطار الهندية جنوباً، ومناطق تمركزها الحالي سورية والعراق ولبنان.

اللغة المندائية: تنحدر واللغة العربية من أصل واحد، ولقد تطورت اللغة العربية بينما بقيت المندائية مقصورة على المخطوطات القديمة، وعلى التفاهم العائلي المحدود، تتفق الأبجدية المندائية والأبحدية العربية، تلك الأبجدية الموجودة في اللغات السامية وهي (أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت) والحروف المندائية أقرب إلى صورة الحروف العربية من غيرها من اللغات السامية الأخرى، وهناك مفردات كثيرة متماثلة لفظاً ومعنى بين اللغتين، ويستطيع القارئ العربي أن يفهم المندائية شريطة أن يكون ملماً بأنواع الإبدال والقلب والحذف والإدغام.

اللغة النوبية: يتكلمها سكان منطقة النوبة في مصر والسودان، وهي منطقة أصلها وتمركزها الحالي. تقسم اللغة النوبية إلى فرعين رئيسين يختلفان في القواعد والمفردات، وهما: لغة الكنوز ولغة الماتوكي.

إلى جانب ما ذكرناه من أقليات لغوية هناك اللغات (السامية الحامية: الأرمينية وموطنها الأصلي أرمينية، ومناطق تمركزها الحالي: لبنان وسورية ومصر. والتركية: موطنها الأصلي تركية، ومناطق تمركزها الحالي: سورية والعراق، والفارسية: وموطنها الأصلي إيران، وتمركزها الحالي: العراق ودول الخليج العربي، وهناك القبائلية الإفريقية: وموطنها الأصلي ومناطق تمركزها الحالي: جنوب السودان وجنوب المغرب[١].

(١) فريدريك نيوماير: سياسات اللغويات، ترجمة: عبد الله بن هادي القحطاني ومحمد عبد الرحمن البطل، نادي أبها الأدبي، ١٤١٧هـ.

Open Kanar.com

المبحث الخامس

مشكلات لغوية
بين الفصيحة والعامية

حملت اللغة العربية ثقافة العرب عبر القرون، وكان لها دورها في وحدتهم، وعودة إلى التاريخ نرى من خلالها أن الجزيرة العربية كانت قبل ظهور الإسلام في حال من الفوضى القبلية والحيرة الروحية، وغلبة التقاليد البدوية وقيمها الاجتماعية والثقافية، على نحو تختلف تفصيلاته وإن تقاربت أحكامه في المواطن المختلفة، بين الحواضر (القرى) - بحسب التسمية القرآنية - وبين البوادي.

وبحكم انسياح الشعراء في أرض الجزيرة وعلى أطرافها، وبحكم الاختلاط في المحافل والأسواق والمواسم الدينية، أخذت لهجات القبائل تتقارب في الخطاب الشعري، وهيئ لقبائلها من بعدُ أن تبلغ حداً من الوعي بالتميز الاجتماعي، توِّج في النهاية بنزول القرآن الكريم، بلسانه الواحد العربي المبين.

لقد ورد وصفه بكونه عربياً[1]، وورد وصف الكتب المنزلة قبله

(١) يوسف ١٢/ ٢، الرعد ١٣/ ٣٧، النحل ١٦/ ١٠٣، طه ٢٠/ ١١٣، الزمر ٣٩/ ٢٨، فصلت ٤١/ ٤٤، الشورى ٤٢/ ٧، الزخرف ٤٣/ ٣، الأحقاف ٤٦/ ١٢.

obeikandi.com

(بالأعجمية) ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٦/١٠٣]، وقد أعلى من شأنه وأضاف في وصفه ﴿قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٣٩/٢٨]، وفي زمن قصير قرئ في أنحاء الجزيرة العربية قراءة واحدة، قرّبت بين لهجات القبائل فوحدتها في لغة قريش، وبذلك تحقق باللغة العربية وحدةُ الأمة وروابطها، وتحققت بانتشارها عروبة الأرض والجماعات التي خالطتها، وعروبة الشعوب التي تكلمتها.

إلا أن ما أضعف هذه الروابط:

١- استيقاظ الروابط الإقليمية وتفشي الدعوة إليها.

٢- قيام الأحزاب السياسية التي تنادي بنفي الروابط القومية.

٣- ظاهرات الإثنية والطائفية والمذهبية.

٤- انصراف الناس إلى اللغات الأخرى وإلى اللغة الإنكليزية حصراً.

٥- الانصراف عن ثقافتنا إلى ثقافة الحداثة ومفاهيمها الفكرية.

والمتابع لحال اللغة العربية في عصرنا هذا، لابد أن يلحظ أن اللغة التي حملت ثقافة العرب عبر قرون تمر بأزمة تكاد تكون الأشد في تاريخها الطويل، وسيكون لهذه الأزمة انعكاسات على مستقبلها، وتتمثل هذه الأزمة بمسألة الفصيحة حافظة التراث وعمود ثقافة الأمة العربية، والمحليات العربية (العامية).

لقد ظهرت دعوة بعض الأغراب إلى اتخاذ المحلية لغة الكتابة ولغة الخطاب الثقافي والإبداع الفكري، تبعهم باحثون عرب دعوا إلى ترقية العامية واستخدامها في الكتابة، وجدير بالذكر أن العامية واقع قديم، وهو ليس مشكلة عربية، بل هو مشكلة عامة في جميع دول العالم، ففي

بريطانية (١٢) لغة ولهجة محلية، وما يقارب (٤٣) لغة وافدة، إلا أن جميع الطلبة يتكلمون اللغة الإنكليزية القياسية[١].

ومن البدهي أن اللغة قد تتعرض في مسيرتها للتغيير والتطوير بالقدر الذي لا يؤثر في بنيتها الأصلية أو نسقها العام، وقد تنتهي إلى لغة أخرى لا يربطها بأصلها إلا القليل إذا كان التغيير جذرياً.

يتمثل وضع اللغة العربية بوضع اللغة اللاتينية، كانت لغة الدولة الرومانية، وقد تهيأ لها أن تكتب بلغة راقية، ارتقت عن أفهام العامة، وانتهى الأمر إلى أن أصبحت بين النخبة، بينما أخذت العاميات التي كانت لغات الخطاب لشعوب الدولة الرومانية تنشط، مبتعدة عن اللاتينية الكلاسيكية، فظهرت من جراء ذلك اللغات الأوربية ذات الأصول اللاتينية: الإيطالية والفرنسية والإسبانية، وانتهى الأمر باللاتينية الأصل إلى الانزواء عن الاستعمال إلا في بعض الكنائس والأديرة، وأصبح تعلمها مقصوداً للاطلاع على أعمال القدماء لا للتعاطي بها في المجتمع.

ومن المؤسف أن فكرة استقلال العامية وتشجيع الكتابة بها قد أخذت أبعاداً واسعة في هذا العصر، بدءاً بالدعاية لها من قبل الكتاب والمثقفين المعاصرين وانتهاء بممارسة الكتابة بها، على نطاق واسع في المسرح والأغنية والقصيدة، وأصبحت تصطبغ بها معظم البرامج في الإذاعات المرئية والمسموعة، كما أخذت بعض اللهجات العامية في البلاد العربية تتصدر برامج الفضائيات، ونادى كثيرون بوجوب الاعتراف بالعامية لغة الثقافة والكتابة، وثمة من يهاجم اللغة العربية الفصحى في نحوها وصرفها.

---

(١) ينظر في هذا الشأن: مجمع اللغة العربية بدمشق: المؤتمر السنوي الرابع، اللغة العربية والمجتمع، في: أحمد بن محمد ضبيب: تأملات في الأزمة والمصير. دمشق ١٣ - ١٦ شوال ١٤٢٦هـ/ ١٤ - ١٧ تشرين الثاني ٢٠٠٥، ص ٦.

يقودنا هذا إلى التساؤل: كيف نحافظ على لغتنا الفصيحة، وما الأبعاد التي يمكن أن تحقق الهدف المنشود؟

تُبيِّن لنا مواقف الأسلاف والخلفاء والولاة والكتاب أهمية الحفاظ على اللغة والإحساس بأهميتها في الحياة، والتعلق بها واحترامها والاعتزاز بها، فقد كانت اللغة مرتبطة بوجدان الناس وقريبة من نفوسهم، يغذيها الانتماء الروحي لكونها لغة الذكر الحكيم والسنة النبوية الشريفة، والانتماء الثقافي ومناط البلاغة في التراث العربي.

ونذكر في هذا المجال كلمة عبد الملك بن مروان: «شيّبني ارتقاء المنابر وتوقّع اللحن»[1]، وهي من الشهادات الأولى التي تدل على تمكّن الفصحى من مرتبة الذات المثالية في مجتمع الأسلاف، وهي دلالة حضارية نشهدها الآن عند الأمم المتقدمة، فلا نكاد نجد أمة إلا وساساتها ومثقفوها يعتنون بلغتهم أشد الاعتناء ولا يتساهلون في إقامة مبناها.

إن اهتمام النظام التعليمي في مستوياته كافة بمسألة اللغة العربية الفصيحة أصبح ضرورة ملحة، لأن إخفاق النظام التربوي العربي في هذا المجال يلفت نظر كل مهتم في شأن اللغة، وقد أرجع كثير من الباحثين الضعف اللغوي في الفصحى إلى تأثير العاميات المنتشرة في البلدان العربية، فالازدواجية اللغوية تمثل عاملاً قوياً يسند إليه إخفاق النظام التعليمي في تعليم الفصحى، ولقد حمّل بعض الباحثين الأسرة العربية وزر هذا العامل، مطالبينها بالتخاطب مع الأطفال في المنزل باللغة الفصيحة. إلا أنه ما يرد في هذا الشأن أن الأسر العربية لا تعيش ظروفاً

(١) ابن عبد ربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين، ط٣، القاهرة، لجنة التأليف والنشر، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م، ٢/ ٤٧٩.
أيضاً: ابن الطوفي: الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية، تحقيق: محمد الفاضل، الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، ص ٣١٩.

اجتماعية متشابهة، إلى جانب أن نسبة الأمية في الدول العربية مرتفعة، وأن الخطر يكمن في المدرسة، فهي البيئة الوحيدة التي يمكن أن تقطف من ورائها ثماراً يانعة في مجال إجادة اللغة، وإن تهاون المدرسة بالفصحى هو الذي يمكن أن تردّ إليه أسباب الأزمة التي تمر بها اللغة.

ومع أن اللغة ركيزة من ركائز التعليم المهمة، ووسيلة لصياغة الفكر وتوصيله، وهي كما يقول ستاندال: «مفتاح عبقرية الأمة»؛ فإن اللغة العربية لم تلاق من منفذي البرامج التعليمية ما تستحقه من اهتمام كما يحدث في البلاد المتقدمة.

وإذا ارتقينا السّلم إلى المرحلة الجامعية نجد أوسع مدى لهذه المشكلة، حيث تأخذ العامية مجالاً واسعاً في التعليم والمناقشة، وهو من المآخذ السلبية على التعليم الجامعي في جميع الدول العربية، ويقتضي ذلك الإعداد اللغوي الجيد للمعلم في جميع المستويات وفي جميع التخصصات بالعربية الفصحى السهلة، وأن يتم النقاش من خلال هذه اللغة.

إن تعلم اللغة الأجنبية أمر مهم وضروري، على ألا يطغى تعلم اللغة الأجنبية على اللغة العربية خاصة الفصحى منها، ويفترض استمرارية التواصل للوقوف على ما وصلت إليه الحضارة الحديثة وتقاناتها، على ألا تزاحم اللغات الأجنبية اللغات المحلية، وهو أمر معروف في التاريخ اللغوي، ولا أحد ينكر أن اللغة العربية واجهت تحديات خطيرة في تاريخها الطويل، لكن الثقافة العربية ظلت على صلة دائمة بالتراث العربي، بل ازدادت العلاقة بوساطة نشر كثير من المخطوطات العربية، التي كانت حبيسة المكتبات، إلى جانب تأثير الطباعة، سواء في مد الجسور مع التراث أم نشر النماذج المشرقة من روائع الكتابات القديمة والحديثة في جميع الحقول.

يضاف إلى ما ذكرناه أن اللغات الحية، هي التي استطاعت أن تكون ذات أهمية تبادلية عالية في سوق اللغات، ولغتنا العربية الفصحى تراجعت قيمتها الاستعمالية في كثير من المواقع، لقد استبعدت اللغة العربية من السوق التجارية ومن مجالات السياحة والسفر، وفقدت قيمتها في كثير من التخصصات العلمية والطبية في الجامعات، ومن المؤسف أيضاً أن الإعلام العربي اختطفه دعاة العامية، وجعلوا التعلق باللغة الأجنبية أمراً هاماً، وهكذا فإن التعلق باللغة العامية واللغة الأجنبية أصبح أمراً يهدد بالخطر اللغة العربية والوجود العربي ذاته.

ربما نجم ذلك عن الوضع الاقتصادي في الدول العربية، فقد سادت في عصر العولمة الاقتصادية ثقافة الاستهلاك وتمكنت الصناعة الأجنبية والإنتاج الأجنبي حمل لغته واصطلاحاتها، التي تغطي نظم العمل والإدارة والنقل والتخزين والتسويق، يضاف إلى ذلك وجود العمالة الأجنبية الوافدة إلى الدول العربية التي لا تحسن إلا اللغة الأجنبية، مما أدى إلى الاندفاع نحو اللغة الأجنبية وتراجع اللغة العربية في الاستعمال في البلاد العربية، وهذا يذكرنا ببدايات عهود الاستعمار في البلاد العربية، حيث فرضت اللغة الأجنبية على أبناء الأمة العربية.

إن ما يحز في النفس أننا نرى قارات بأجمعها، بقومياتها الكثيرة ولغاتها المختلفة، تبحث عما يوحدها وتسعى إليه، ونحن أمة واحدة لغةً وثقافةً وتاريخاً، لا نسعى بشكل جدي إلى ذلك، بل نجد في قائمة أصدرها موقع (Ethnologue) المهتم باللغات العالمية من منظور أنثربولوجي، يقسم العربية في كل قطر عربي إلى لغات مختلفة، ففي المملكة العربية السعودية (٢٠) لغة منها خمس لغات محلية، يذكر منها لغة الحجاز ولغة نجد ولغة الخليج إلى جانب اللغة الفصحى، وفي مصر يعد (٢٠) لغة، منها (١٠) لغات محلية، وفي سورية (١٨) لغة، منها

(١٢) لغة محلية، وهنا تؤخذ اللهجات ذات الفروق الطفيفة على أنها لغات قائمة بذاتها، تمثل ثقافات مستقلة، أي إن العلم الأنثربولوجي أخذ يستخدم لتكريس سياسة الهيمنة الغربية القائمة على التفتيت الجغرافي والثقافي.

ما ذكرناه يقودنا إلى القول:

إن الفصيحة السهلة الميسرة، حاملة التراث الأدبي والفكري والروحي بما تملك من غنى وخصب التوليد والاشتقاق ومرونة التركيب، وفي الحال التي عليها المحليات العربية من فقر المفردات وفوضى الأصول والتركيب وتباين الأنساق، فإن اللغة الفصيحة هي التي تصلح أن تكون لغة الكتابة، يفرضها العقل والمصلحة العامة، وبين أيدينا محاولات مثمرة، يمكن الإفادة منها، ومن قرب أصحابها من حقائق الواقع القائم من حولهم، دون أن نغفل عن جهود القدامى.

وستظل المحلية بحكم العقل والواقع لغة الحياة اليومية، وستضيق الفرجة بينها وبين الفصيحة يوماً بعد يوم، مع اتساع حركة التعليم وتيسير اكتساب الفصيحة والإلمام بأهم قواعدها، وانتشار أجهزة الإعلام والاتصال وتطويرها المذهل، وإلفة القراءة ونمو الوعي العام، وقد نهض أناس كثيرون لغايات مختلفة، فانكبوا على ألفاظهم المحلية يعيدونها إلى أصولها، ويعملون على تعميمها وتهذيبها، والعودة بألفاظ المحليات العربية إلى مصادرها الفصيحة.

المبحث السادس

مشكلات علمية

لا تعود مشكلة وضع المصطلح العلمي في اللغة العربية إلى مدى مطاوعتها وقدرتها على تسمية الأشياء وضبط المفاهيم فيما يعرف بالمفردات النمطية الموحدة (Lexical typology)، فهي أقل مما في غيرها من اللغات السامية الحامية، وحتى في المئتي (٢٠٠) لغة العلمية المتعارفة في العالم، بسبب قدرة اللغة العربية على الاشتقاق، على العكس من اللغات الهندوأوربية التي تلجأ إلى التركيب[١].

يتعلق الأمر بواقعنا المعرفي الراهن، ومن المعروف أن حصيلة الإنتاج العلمي في وطننا العربي ضئيلة جداً، ومن الإنصاف أن نذكر أن جزءاً من ذلك يعود إلى ما تعرضت له ذخائر الحضارة العربية والإسلامية من نهب وتدمير، وإلى عدم القيام بجدية لدراسة التراث الثقافي والعلمي في خزائنه: الإسكوريال وليدن ومدريد..

إن وضع المصطلحات بوساطة التعريب أو النقل أو الترجمة في العلوم الدقيقة والتجريبية، أسهل من وضعها والاتفاق عليها في العلوم

---

(١) سامي العلوي: ابن خلدون وعلوم اللسان العربي، حوليات جامعة الجزائر، عدد (٨) ١٩٩٤.

obeikandl.com

الاجتماعية والإنسانية التي تستخدم منذ وقت طويل المناهج التجريبية، ولكنها تتطلب في كل اللغات امتلاك رصيد لغوي واطلاعاً عميقاً على علوم الدلالة والبيان، فضلاً عن الإلمام بقواعد اللغة وفنون التعبير.

إن سهولة وضع المصطلح العلمي وتعميمه، وعدم حاجة العلماء إلى تحصيل لغوي وفير، لا يعني إعفاء الطلبة المتخصصين والباحثين في العلوم الدقيقة والتطبيقية من إتقان اللغة، فدقة التعبير وسلامة التبليغ أمران مطلوبان من الجميع، وهذا ما نلاحظه في كل البلدان غير التابعة ثقافياً، وقد كان علماء العرب من السباقين في هذا المجال.

تتوفر اللغة العربية على الشروط الأساسية لعلمية اللغة وعالميتها وهي:

أ- العمق التاريخي الجغرافي: فهي أقدم اللغات المكتوبة والمنطوقة منذ مئات السنين في قسم كبير من آسية وإفريقية، وعن طريق الإسلام (القرآن الكريم) في القارات الخمس، وقد أوصلها إلى أعلى درجات البيان والإتقان، وهو الإعجاز.

ب- استقلالية اللغة العربية من ناحية اللسان (Langue) والكلام (Parol)، مع أنها استمدت كثيراً من مفرداتها من لغات أخرى مثل: العبرية والفارسية والهندية، كما استعانت بها تلك اللغات، خاصة في لغة العلم والفلسفة والفقه وأصوله، وامتزجت بها، كما هو حال اللغة الفارسية، والتركية والمالطية، لكن اللغة العربية حافظت لأمد طويل على خصائصها وثرائها الكبير في الاشتقاق والمترادفات، حتى قال آدم ميتز: «إن العرب اهتموا كثيراً بالنثر وفاقوا في ذلك جميع الشعوب».

جـ- لم يهتم اللغويون العرب في القديم بقضايا التنميط أو القابلية للتعبير (Normalization)[١] في المصطلح العلمي، لقد أنتجوا العلم، بما فيه فقه اللغة والمعاجم التي وصلت أوجها في نهاية القرن الرابع الهجري على يد علماء مميزين[٢].

والملاحظ أن وفرة النشاط العلمي وتعدد المدارس والاجتهادات في وضع المفاهيم تقلل من مصاعب التنميط في اللغة الواحدة، وهذا ما حدث في أثناء ازدهار الحضارة العربية في الفلسفة، حيث لا نجد سوى القليل من الخلافات في المصطلح ما بين الكندي وابن سينا وابن رشد على طول الزمن الفاصل بينهم.

تتصف اللغة العربية بالمرونة والمطاوعة، وتتميز باستمرارية تاريخية وأمد حضاري زاخر وثراء، وقد أوصلها القرآن الكريم إلى أعلى درجات البيان والإتقان والإعجاز، ومع ذلك يعاني الخبراء والباحثون المصاعب الموضوعية في جميع حقول المعرفة العلمية، سواء تعلق ذلك بالتأليف أم بالترجمة، وذلك لعدة أسباب نذكر منها:

أ- الفجوة الواسعة بين العلماء والباحثين العرب وبينهم في الدول المتقدمة، التي تدفع يومياً آلاف المصطلحات والرموز والتراكيب التي تفرض نفسها على المجتمع العلمي، بل على المجتمع بمعناه الواسع، كما يتعامل معها علماؤنا من خلال نقلها معربة أو مترجمة إلى اللغة العربية.

ب- منذ بداية القرن العشرين اتجهت جميع العلوم إلى استخدام

(١) أي: اختيار مفردات معينة بسبب تواترها وملاءمتها للمفهوم المراد تعريفه لما فيه من خصائص تقرّب الدال من المدلول.

(٢) حمزة الأصفهاني (ت ٣٥٠هـ/ ٩٦١م)، ابن فارس (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، الحسن العسكري (ت ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م).

الرموز والإشارات الرقمية والحرفية، وأصبح الاختزال لغة اصطناعية يتعامل بها الناس، ابتداءً بإشارات المرور حتى مخابر الفضاء والهندسة الوراثية والمعلوماتية.

من خلال ما ألمحنا إليه من مشكلات علمية للغة العربية، نرى أن إثراء هذه اللغة ليس مسألة تقنية بحتة، بل لا بد أن تتوافر إرادة مؤداها أن اللغة العربية تتطلب حشد الجهود والإمكانات وفق منظور منسق بعيد المدى، بإشراك الكفاءات العربية الموجودة داخل الوطن العربي وخارجه، لقد ثبتت كفاءة العلماء العرب في الجامعات ومراكز البحث خارج الوطن العربي (الأوربية والأمريكية)، فالعجز والقصور راجع في كثير من علله إلى المناخ العام.

لهذا ينبغي أن يتجه العمل المشترك والتنسيق بين المجامع إلى التوحيد، فاللغة الواحدة لها مجمع واحد، له مجامع قطرية تسعى إلى ترقية اللغة العربية، من خلال ما تقدمه من معارف تتوافر لديها من خبرائها.

ومن الناحية العملية، حريٌّ بجامعاتنا ومجامع اللغة العربية ومراكز البحث أن تضع خططاً على المدى القريب والمتوسط والبعيد، لترجمة البحوث التي أنجزها الباحثون العرب بلغات أخرى في كثير من بلدان العالم، ويسفر هذا عن تحقيق هدفين: أولهما إثراء اللغة العربية بمضامين واجتهادات مصطلحية، استفادت منها لغات أخرى، وثانيهما يساعد على معالجة مسألة المصطلح في سياق المجالات العلمية والأدبية المتخصصة، ويمكن اعتبار ذلك خطوة نحو توطين العلم والتقنية في الوطن العربي، بدلاً من تصديرهما واستيراد الجاهز من المعرفة.

المبحث السابع

وسائل وضع المصطلحات (المعجمات)

ظل وضع المصطلحات العلمية مدة طويلة من الزمن عملاً من أعمال الأفراد لا من أعمال المجامع اللغوية والعلمية وحدها، وقد فاق جهدهم جهد الجماعات إجمالاً، والأفراد فريقان: فريق صنف معاجم أعجمية عربية شاملة، وآخر اختص بعلم من العلوم ووضع أو حقق فيه مصطلحات نشرها في مجلات علمية أو لغوية، أو صنف فيها رسالة أو معجماً عربياً خاصاً، لهذا كانت حقول الاختلاف مع الألفاظ العربية الدالة على معنى علمي واحد أمراً محتماً، لأن لكل عالم قادر على وضع المصطلحات العلمية رأياً خاصاً في معالجة كل لفظة علمية أعجمية، كاللجوء في نقلها إلى العربية إلى الترجمة أو الاشتقاق أو النحت أو التعريب، كما أن أذواق العلماء تختلف أيضاً، مما لا نستطيع معه أن نفضل ذوقاً على ذوق آخر في هذه الموضوعات، والذوق وحده لا يكفي للعدول عن كلمة عربية إلى كلمة أعجمية، ونذكر فيما يلي بعضها على سبيل التمثيل دون الإسهاب:

من المعجمات الأعجمية المشهورة معجم لاروس (القرن العشرين) فقد عددت أسماء (٢٩٠) عالماً وأستاذاً شاركوا في تصنيف هذا المعجم، ومعجم العلوم الطبية والطبيعية للدكتور محمد شرف، وهناك معجمات

عربية عامة كالمعجم الإنكليزي العربي لأنطون إلياس، ومعجم الحيوان للدكتور أمين معلوف، وهو بالإنكليزية والعربية، وهو من أشهر وأوثق المعاجم التي ألفت في القرن العشرين، ومعجم الألفاظ الزراعية باللغة الفرنسية والعربية للأمير مصطفى الشهابي، ذكر فيه المهم من ألفاظ العلوم الزراعية.

وسوى أصحاب المعاجم هناك من وضع وحقق مصطلحات نشرت في المجلات العلمية واللغوية، أو ألفوا فيها رسائل صغيرة مثل الدكتور يعقوب صروف ومحمد شرف وأمين معلوف، ولبعض أعضاء مجمع اللغة العربية في مصر ودمشق وأساتذة الجامعات فيها مشاركة في وضع المصطلحات العلمية أو تحقيقها.

إن وضع المصطلحات العلمية يحتاج إلى أداة حكيمة فعالة للترجيح يمكن الركون إلى رأيها، وتخضع الحكومات العربية والأفراد من العلماء والأساتذة لحكمها، فما أداة الترجيح هذه؟ وما الطرائق التي يجب أن نتبعها لكي نضع في مدة وجيزة جملة كافية من المصطلحات العربية في مختلف العلوم العصرية، ولكي تأخذ الدول العربية باستعمال تلك المصطلحات دون غيرها؟

وقبل البحث عن الوسائل الناجعة في تحقيق الغرض لا بد من تحديده:

١- توجد في الدول العربية معاجم كثيرة باللغة العربية واللغات الأجنبية لكنها تفتقد إلى توحيد مصطلحاتها حتى لا يقع القارئ في بلبلة وتشويش.

٢- أن تلتزم الحكومات العربية باستعمال ألفاظ هذه المعاجم دون غيرها في مدارسها وجامعاتها ودوائرها الرسمية.

ولتحقيق ذلك لا بد من:

١- النظر إلى المشروع نظرة قومية شاملة، والتآزر الوثيق بين مجامع اللغة العربية والأمانة العامة لجامعة الدول العربية والاختصاصيين بالعلوم ومصطلحاتها، ويشار إلى أن مجمع اللغة العربية بمصر كان متفرداً منذ سنين بالاهتمام بمعالجة اللغة العربية العلمية ومصطلحاتها، إلا أن مجامع اللغة العربية في الدول العربية تبذل الآن جهداً كبيراً في سبيل وضع المصطلحات العلمية وتوحيدها.

٢- الحصول على أموال كافية من الدول العربية.

٣- تؤلف لجنة مشتركة من مجامع اللغة العربية ومن الأمانة العامة للجامعة (الإدارة الثقافية) تصنف المعجميين وتحدد الطرائق التي يجب سلوكها لإتمامه، وتضع تقريراً يعرض على مجلس الجامعة ليقر المال الضروري له.

٤- الاستعانة بأكبر عدد من الاختصاصيين بالمصطلحات العلمية لقاء تعويضات عادلة.

٥- تؤلف لجنة تسمى (لجنة معجم المصطلحات العلمية) يكون لها شخصية معنوية واستقلال مالي تنظر في شؤون تصنيف المعاجم وفي الإنفاق على هذا العمل.

٦- تعمد اللجنة إلى معجم أعجمي تستخرج منه الألفاظ العلمية المهمة، وتصنفها حسب محورها العلمي.

٧- توزع اللجنة المواد الأعجمية المذكورة بين علماء الأمة العربية في مختلف أقطارها سواء كانوا من أعضاء المجامع العلمية

obeikandl.com

اللغوية أم من أساتذة الجامعات القادرين على وضع المصطلحات العلمية العربية، أم من الأفراد الذين اشتهروا بالتخصص بعلم من العلوم ومصطلحاته، لوضع أصلح الألفاظ العربية مقابل تلك الألفاظ الأعجمية، مع تعريف كل لفظة بالعربية تعريفاً علمياً موجزاً، وفق قواعد دقيقة يرشد إليها واضع المصطلح العلمي، ووفق مهلة معلومة ينهي فيها كل اختصاصي عمله.

٨- كلما أنهى أحد الاختصاصيين عمله، يبعث بنسخة منه إلى حكومات دول الجامعة العربية، طالباً منها عرض هذه المصطلحات على العلماء والخبراء بالجامعة العربية، ليبدوا ملاحظاتهم عليها في مدة محدودة.

٩- يناقش خبراء الجامعة العربية ولجنة الحكم واضعي المصطلحات العربية حتى يستقر الجميع على أصلح الألفاظ العربية.

١٠- تعرض نتائج الأعمال كلها على مجلس المجمع، لإقرار الألفاظ العربية وتعريفاتها العلمية، بعد مناقشتها من قبل الاختصاصيين واضعي الألفاظ وخبراء لجان المجمع.

١١- يُعرض المعجم كاملاً على مؤتمر المجمع لإقراره، ولا يناقش أعضاء المؤتمر إلا في ألفاظ مهمة اختلف عليها الفنيون وأعضاء المجمع.

١٢- يقوم المجمع بطبع المعجم، وينشره في الأقطار العربية بثمن مقبول.

١٣- لابد لإتمام المعجم بدقة وبسرعة من منح العاملين في تصنيفه عوضاً عن أتعابهم[١].

ومن المعلوم أن تصنيف هذا المعجم يجب أن يسبق تصنيف الموسوعة (دوائر المعارف) إذ لا كبير فائدة في موسوعة ومصطلحاتها العلمية العربية مغلوطة أو سقيمة أو مرجوجة.

(١) لمزيد من الاطلاع ينظر:
الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مرجع سبق ذكره، ص ٣٥، ٤٧، ١٢٩.

opeikandl.com

المبحث الثامن

القواميس والمعجمات العربية

المعجم كتاب تدرج فيه مفردات اللغة على حروف المعجم أو على طريقة أخرى وتعرّف، والقاموس ليس مرادفاً للمعجم، وقد جعل كثير من الناس - وبينهم علماء - (القاموسَ) وهو اسم معجم لغوي ألفه الفيروزأبادي (ت ٨١٦هـ/ ١٤١٣م) مرادفاً للمعجم وذلك لشهرته.

تعود مناهج تأليف المعجمات العربية إلى ما ينوف عن ألف سنة، ومدارس المعجمات العربية أربع:

١- مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ/ ٧٩١م) مبتكر علم العروض، ألف معجم (العين) وهو أول معجم ألف في العربية، ومنهجه على الحروف حسب مخارجها، مبتدئاً بحروف الحلق، وبكتاب العين، وقد أطلقه على معجمه، وقد ابتدأ بحرف العين لأنه أبعد الحروف مخرجاً، وإذا ذكر كلمة ذكر مقلوباتها مثل كلمة (بحر) يذكر معها برح، رحب، ربح، حبر، حرب.

٢- مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ/ ٨٣٧م) وبنى معجمه على المعاني والموضوعات، فيذكر في السلاح أو

obeikandl.com

العسل، أو خلق الإنسان - مثلاً - ما وصل إلى علمه من الكلمات مع شرح معانيها.

٣- مدرسة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م) وقيل في حدود (الأربع مئة) وأساس هذه المدرسة ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها، ثم النظر في الترتيب الهجائي عند ترتيب الفصول، وقد سمى الأول باباً والثاني فصلاً، فكلمة (فعل) نجدها في باب اللام، لأنها آخر حرف فيها، وتقع في فصل الفاء لأنها مبدوءة بها.
والجوهري مبتكر منهج الصَّحاح بلا منازع، وقد خطا بالتأليف المعجمي أوسع خطوة عرفها تاريخ المعجمات العربية.

٤- مدرسة محمد بن تميم البرمكي، (كان حياً سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م) لم يؤلف معجماً بل رتب صحاح الجوهري، على ترتيب حروف الهجاء، مبتدئاً بالهمزة منتهياً بالياء، وهو الترتيب الذي اعتمده مؤلفو المعجمات العربية في العصر الحديث مثل: المنجد وأقرب الموارد والمحيط والبستان والمعجم الوسيط الذي أصدره المجمع اللغوي المصري الحديث.

ولا شك أن من فوائد (الصحاح) تأسيس مدرسة البرمكي، التي اتبعها مؤلفو المعجمات التي مر ذكرها، فليس للمحدثين منهج خاص ابتكروه، وإنما وجدوا طريقاً معبداً فسلكوه.

ويذكر في مجال تأليف المعجم العربي منهج ابتكره نشوان بن سعيد الحميري (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م) (شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، وصحيح التأليف) ومعجم (التصنيف والأمان من التصحيف) وقد شرح نشوان نظامه في مقدمة معجمه: جعل لكل حرف من حروف

المعجم كتاباً، ثم جعل لكل حرف معه من حروف المعجم باباً، ثم جعل كل باب شطرين: أسماء وأفعالاً، ثم جعل لكل باب وزناً ومثالاً.

واتخذ منهج الخليل في تقسيم الحروف إلى مجموعات، فبدأ بحروف الحلق مبتدئاً بالهمزة، فالهاء فالعين فالحاء فالغين فالخاء، منتهياً بالواو فالياء فالألف، وهي الأحرف الهوائية.

افتتح نشوان معجمه بحرف الهمزة وما بعدها من الحروف في المضاعف، وبدأ بقوله: الأسماء: فعل، بفتح الفاء وسكون العين، وذكر أول كلمة الأب: المرعى، ثم الأدّ: القوة، ثم يذكر كل كلمة على هذا الوزن من الأسماء.

وقد اختصر معجم نشوان بعض العلماء، ولم يتبع منهجه أحد فبقي وقفاً عليه[١]، وأجتزئ فيما يلي أمثلة قليلة عن الكلام المطول حول عيوب المعجمات العربية:

لقد ذكر بعض الباحثين مآخذ حول المعجمات العربية، بعضهم علل أسباب ذلك، وبعضهم أتى على ذكرها دون تعليل، وعودة إلى أيام هذه المعجمات توضح لنا أسباب هذه العيوب:

عندما صنفت المعجمات العربية أيام الفراهيدي وتلميذه الليث وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سَيْدَه وغيرهم من القدماء، وابن منظور والفيروزأبادي والزبيدي ممن جاؤوا بعدهم، كانت علوم الطب والمواليد والطبيعة والكيمياء وغيرها في حال بدائية بسيطة، وكان من النتائج الطبيعية لذلك حصول إبهام وتشويش في تعريف بعض أعيان المواليد، وفي تعليل بعض الحادثات الطبيعية، يضاف إلى ذلك النقص الكبير الناتج

(١) ينظر في شأن هذه المدارس: أحمد عبد الغفور عطار: الصحاح ومدارس المعجمات العربية، القاهرة، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

عن خلو تلك المعاجم من ألفاظ العلوم الواسعة، التي كان القدماء يجهلونها لأسباب، منها مثلاً: عدم وصول الفتوحات الإسلامية إليها، أو جهلهم بتصنيف الأحياء، ونورد فيما يلي أمثلة عن ذلك:

خلت معجماتنا من أسماء الألوف من أعيان النبات والحيوان مثل التبغ والذرة الصفراء والبرتقال والكاكاو والأناناس والقشدة إلخ.. لأن الفتوحات الإسلامية لم تمتد إلى البلاد التي تنمو فيها هذه النباتات.

كما خلت معجماتنا من عدد لا يستهان به من الألفاظ المولدة في أيام العباسيين وبعدها، كبعض التي ذكرها الخوارزمي في (مفاتيح العلوم) والجواليقي في (المعرب من الكلام الأعجمي) والخفاجي في (شفاء الغليل) والمستشرق (دوزي) الهولندي في معجمه.

خلطت معجماتنا القديمة كثيراً من أسماء المواليد بعضها ببعض، وعرفت الواحد بالثاني، وسبب ذلك جهل القدماء بتصنيف الأحياء وفق خصائصها، إذ لم تفرق المعاجم بين الأرز والعرعر والسرو والصنوبر، بل عرفت كلاً منها بالآخر، كما عرفوا الإوز بالبط.

لقد فسَّرت المعجمات العربية كثيراً من الألفاظ المشهورة تفسيراً بعيداً عن التفسير العلمي الحديث. ففي (اللسان) مثلاً: الطير اسم لجماعة ما يطير، وفي المخصص أدرج ابن سِيدَه في جملة الطير الجراد والزنابير والذباب والنحل وغيرها، فكل ما يطير هو عندهم طائر.

نجد في كتب اللغة العربية مثلاً أن الحشرات هي الدواب الصغار أياً كان مكانها في التصنيف فالقنفذ عندهم حشرة، والفأر والجراد والحرباء حشرات.

كذلك الشجرة في معجماتنا، فشقائق النعمان شجرة، في حين أنها عشب سنوي بالمعنى العلمي الحديث، أي إنه لا يوجد في هذه المعاجم

تفريق بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي العلمي، فالشجرة معناها العلمي لا يطابق معناها اللغوي، فهي علمياً كل نبات معمر له ساق..، وفي معجماتنا الشجرة هو من النبات ما قام على ساق.

ولا بد من الإشارة إلى عيب في معجماتنا وهو تفسير الكلم بألفاظ أعجمية مثل ما أورد الفيروزأبادي في القاموس حيث قال: الحَبَقْ هو الفُوتَنْج والبندق الجلّوز.

وهناك أخطاء علمية؛ كقولهم إن العفص شجر يحمل مرة بلوطاً ومرة عفصاً، وكذلك التصحيف فقد كان القدماء يهملون التنقيط، فلما حصرت المفردات بعد زمن في كتب اللغة ضلّ جامعوها في بعض الكلم بين الباء والتاء والثاء..

كذلك رَسْم الأسماء المعربة على أشكال شتى، قالوا: الياسمين والياسمون، وكان إهمال الشكل سبباً مهماً آل إلى ورود الأحرف على حركات مختلفة: القُنَّب والقِنّب.

ولقد تبدل اليوم مدلول البعض من أسماء أعيان النبات، أي إن بعض الأسماء كانت تطلق في القديم على نباتات، وأصبحت في زماننا هذا تطلق على نباتات أخرى، فكلمة (فل) مثلاً كانت تدل على نبات نجهله، له تحلية غير تحلية الفل المعروف في هذه الأيام، ونطلق اليوم العديد من الأسماء العامية على نباتات وحشرات ليس لها أسماء في معاجمنا القديمة مثل الفتنة والعنبر تطلقان في مصر والشام على سنط فَرْنِس ومثل الدِّفران، وهي كلمة سريانية الأصل، تطلق في جبال سورية ولبنان على عرعر الشام.

ومما يدعو إلى التساؤل، أننا نستعمل كلمة سنديان وهي كلمة فارسية، ولا نستعمل كلمة ملول وهي عامية وسريانية وهذا يحول دون نمو لغتنا الضادية.

إن ما تجب الإشارة إليه أن المعاجم العربية الحديثة صور صغيرة مشذبة للمعاجم القديمة[١]، لقد ساد نوع من الارتجال في تأليف المعاجم، فلا ما هو مخزون في التراث استغل بطريقة متأنية رشيدة، ولا ما أنشئ اعتُمد في إنشائه على أسلوب موحد، بين الباحثين، والنتيجة أن المترجم يحار فيما يجده من الاختلافات بين القواميس، ولا يجد من المعاجم الجامعة ولا المتخصصة ما يشفي غليله، هو المطالب بتجنب كل لبس أو خلط أو تعتيم[٢].

(١) الأمير مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، مرجع سبق ذكره، ص ٣٣ - ٤٠.
أيضاً: الشذرات، دار الكتاب العربي الجديد، بيروت ١٣٨٦ - ١٩٦٦م، ص ٢١٠ - ٢٢١.

(٢) أكاديمية المملكة المغربية، ندوة لجنة اللغة العربية، طنجة، ١٩ - ٢٠ رجب ١٤١٦هـ/ ١١ - ١٢ دجنبر ١٩٩٥. في: محمد الكتاني: الترجمة العلمية وقواعدها، ص ١٠.

obeikandl.com